المدى تدعو المتضررين في شارع المتنبي الى تسلّم استحقاقاتهم

تدعو مؤسسة (المدى) للإعلام والثقافة والفنون الذوات التالية أسماؤهم من المتضررين في شارع المتنبي إلى الحضور يوم الأربعاء المصادف ٢٠٠٧/١٠/١٠ ، في الساعة الحادية عشرة لتسلم استحقاقاتهم للأشهر تموز وآب وأيلول .وهي المنح التي تبرعت مؤسسة (المدى) بتقديمها للمتضررين دعماً منها للحركة الثقافية في العراق.

أسماء المستحقين من المتضررين في شارع المتنبي:

١- محمد كاظم الخشالي
٢- جلال حسن
٣- عباس جبر عنبر
٤- علي خنجر جبر
٥- فليح حسن عباس
٦- مركز دراسات الفلسفة
٧- يوسف جوحي حمود
٨- عبد الواحد شبل جار الله
٩- نومان عبد الامير علي
١٠- علي حسن عباس
١١- محمد سلمان خفي
١٢- زيارة مهدي لفتة
١٣- محمد فخري عطية
١٤- عبد الستار ربيع حتيته
١٥- ماهر نبهان
١٦- بثينة تركي شهاب
١٧- حسين حميد قاسم
١٨- عبد شندي حمود
١٩- عدنان سلمان خفي
٢٠- علي جاسب فلحي
٢١- حسين عبود حسن
٢٢- ضرغام عودة عباس
٢٣- ماجد حميد باشط،
٢٤- عبود عيدان مداح
٢٥- كريم جودت مداح
٢٦- كامل عبود منصور
٢٧- راسم ناصر خلف
٢٨- محمد جليل علي
٢٩- بارق عبد الله جاسم
٣٠- بشرى محمد علوان
٣١- نوري عبد الرزاق رسن
٣٢- كريم حنش هادي
٣٣- خالد حسين حميد
٣٤- جعفر كريم جساب
٣٥- فارس نبهان شهاب
٣٦- اسعد عباس حسون
٣٧- علي حسين احمد

اضحك القراء وابكاهم

ايتالو كالفينو الذي كتب عن سحر الشرق

فيصل عبد الحسن

عرف القارئ العربي ايتالو كالفينو من خلال روايته الكبيرة "مدن لا مرئية" الرواية التي أتاحت لكتاب الرواية في العالم مجالات خصبة لم تسبرها أقلامهم من قبل ومثلما فعلت رواية جيمس جويس"يولسيس" من تغيير شامل لآليات كتابة العمل الروائي، حيث كانت رائدة في استخدام المونولوج الداخلي، ونقل المشاعر الداخلية للشخصيات الروائية، وجعلت القارئ يغور في داخل الشخصيات التي يتعامل معها، و لم يعد يقرأ عن شخصيات مرسومة من الخارج عبر شبكة من علاقاتها الإنسانية، وبذلك مهد جويس للقارئ فرصة المشاركة الفعلية، الوجدانية، في المتن السردي للرواية، إضافة إلى اللعب في الزمن الروائي كنتيجة طبيعية لاستخدام المونولوج، وبذلك فقد استطاع جويس أن يكتب رواية كبيرة من حيث الحجم و الأهمية في زمن الرواية الذي لا يتعدى يوما واحدا، إن حصر الزمن الروائي بهذه الفترة الزمنية القصيرة أتاح للروائي أن يقول كل شيء عن بطله، وأن يكون شاهدا على عصره، وأن تكون الشهادة ممتلئة تماما إلى حد النبض الخافت لأخلاق و أفكار وممارسات و أحلام أهل مدينة دبلن، ومن هنا جاء كشف جويس لغيره عن طرائق الكتابة الروائية الحديثة، وقد أكمل كالفينو في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين التمهيد لعالم روائي يمتلك من الوسائل والطرق، التي تضاهي اكتشاف السينما والتلفزيون ومزج السمعي بالمرئي في كتابة مقروءة.

ايتالو كالفينو كاتب إيطالي معاصر، معروف، و قد استغرب الكثيرون من متابعيه عدم حصوله على جائزة نوبل وموته في الثمانينيات من القرن الماضي وذهابها بعد ذلك بسنوات قليلة أي عام ١٩٩٧ إلى موطنه داريوفو، الكاتب و الممثل المسرحي، الذي قبل منحه جائزة نوبل كان مغمورا خارج بلده ولا تعرف الغالبية من مثقفي العالم من هو داريوفو هذا.

و لسنا في صدد إعادة الحق إلى صاحبه، ونحن نعرف الأبعاد السياسية و الفكرية، و الحسابات التي يجريها أهل نوبل قبل منحها إلى أديب ما في مختلف أصقاع العالم، لا في ايطاليا و حدها ولنا كعرب تجربة مريرة مع هذه الجائزة التي حطت مرة في ربوعنا والله وحده يعلم ما الأسباب الحقيقية لمنحها مع علمنا أن الكثيرين من نوابغ الأمة العربية يستحقون هذه الجائزة وخصوصا في عالم الشعر لا في عالم الرواية والقصة ونحن أمة شاعرة وليست أمة ناثرة وقد تحداها الله تعالى فيما سيكتبه شعراؤها من شعر لمحاكاة سورة من سوره القصيرة، ولست هنا من المقلبين في شؤون هذه الجائزة وأسرار منحها لهذا المبدع أو ذاك، وغاية كتابتي هنا لتوضيح ما لكالفينو من فضل على الأدب العالمي ودون غضاضة من أنه لم ينل النوبل تلك...

في مدن لا مرئية يرسم لنا الكاتب مدينة البندقية الأسطورية، التي تغيب في البحر كل سنة بضعة سنتيمترات. لا فرق بين هذا و ذاك ما دامت المدينة التاريخية، بكل حملها الثقافي والأثري تغيب في لجج الأمواج المالحة، كل عام، وما أن ينتهي القرن القادم من عام ألفين إلا وتكون المدينة الساحرة بكل ذكرياتها وأحجارها و هندسة مبانيها قد ذهبت كاطلانتس المختفية وما يبقى لنا منها سوى ما التقطته الكاميرات من صور وما أبدعه الفنانون من لوحات والتقاط لجزئيات من تلك المرائي، وما دونه الكتاب عنها في كلمات مباشرة أو ما انعكس تضمينا في نصوصهم و قصائدهم وقطعهم النثرية.

أوراق ماركو بولو الرحالة

ما يهمنا في رواية مدن لا مرئية هو التقاط مدينة البندقية الموشكة على الغرق، فتلك المدينة تظهر في أوراق ماركو بولو الرحالة الإيطالي المعروف، الذي هاجر من المدينة في القرن السادس عشر الميلادي وذهب إلى الصين وبقي هناك لأكثر من عشرين عاما، حيث قابل إمبراطور الصين قوبلاي خان، ودار الحوار بين الاثنين حول البحر وفلسفة الحياة و أساليب الحكم، وهنا جاءت الكثير من أحكام ميكافللي و طروحاته فيما بعد في كتابه المهم، "الأمير" فوجد قوبلاي خان ماركو بولو رجلا محنكا يمكن الاعتماد عليه في البحث عن فلسفة للحكم، فبعثه لإدارة الحكم في ولاية بعيدة من ولايات إمبراطورية الصين، المترامية الأطراف، وفي الطريق إلى تلك الولاية البعيدة، كانت المدن تظهر لماركو بولو وأصحابه وتختفي، متتابعة في حلمية رائعة، أيا تكون تلك الشواهد المنحوتة من السراب و الخيال، والأفكار التي كان بدوره يتلوها على صديقه في السجن الفينسي القديم. نسبة إلى فينسيا "البندقية". بعد عودته إلى وطنه ووضعه في السجن من قبل حاكمها.

وجعل ايتالو كالفينو تلك المذكرات القديمة للرحالة العجيب مادة خصبة، لإكمال تصوير عالمه الروائي، ونقل شذا الشرق وسحره، وأساطيره، وإيجاد تلك الغرائبية المبثوثة في حيوانات مؤنسنة: "تحريك الأشياء عن بعد، وعندما يجلس الإمبراطور الصيني على كرسي الحكم فإن الأقداح ترتفع في الهواء وتصير في متناول يديه، الرؤوس المنطوعة يعاد لصقها، الغرف المركبة تنفتح على بعضها في متاهات معقدة التشابك و تقودك الممرات إلى أبواب ومسالك ودهاليز مظلمة، وترى السحرة وهم يغيرون في لحظة إشكالهم ووجوههم" عالم ضاج من السحر والتغريب رسمه ايتالو كالفينو في مدن لا مرئية. يقول مترجم رواية مدن لا مرئية الشاعر ياسين طه حافظ في تقديمه ل"مدن لا مرئية" :مدن لا مرئية الذي اخترت ترجمته، هو أول كتاب قرأته لايتالو كالفينو وأثار دهشتي، رواية، نعم رواية، هكذا يقول النقاد، تثير المشاكل نفسها التي آثارها الكاتب من قبل، و لكن بأسلوب مختلف و بإيجاز جميل ومذاق فيه العمق الثقافي ونكهة الشرق البعيدة والمؤثرة. مدن لا مرئية ص ٩، ويبقى الكاتب.

ايتالو كالفينو ينشر الاختلاف في ما كتب لاحقا، ومن الأمور الثابتة في الإبداع أن الحدود ملغاة، ويبقى الإبداع قائما حتى إذا لم تستوعبه القوالب الأدبية الجاهزة المتعارف عليها الآن، ومهما اختلفت المتسميات وتشابكت أراء النقاد حول مدن لا مرئية وحول كاتبها ايتالو كالفينو، يبقى المتن السردي هو الحقيقة الوحيدة المسلم بها،وربما يحل الكاتب ذاته الأشكال حول روايته، حين يقول في توطئيه لها: "عندما أبدأ بكتابة شيء جديد أفعل ذلك وكأنني لم أكتب شيئا من قبل".أنها محاولة من الكاتب للخلاص من القوالب الموضوعة سلفا، أنه يطمح في حقيقة الأمر إلى كتابة المهم الذي يتكئ على الأبدية شكلا ومضمونا، وهذا في اعتقادي هو تحديث كالفينو في جسد الرواية العالمية، دون وضع العلامات و الأطر الشكلية لتحدي شكل الجنس الإبداعي، إضافة إلى ما يهمنا كعرب فأنه الكاتب اليساري المميز الذي تفهم قضايا عالمنا العربي العادلة كقضية فلسطين وانحاز إلى الحق والعدل من دون أن يتأثر بأجواء الكراهية التي عادة ما تسيطر على أبواق الدعاية في ايطاليا خاصة وأوربا عامة.

قصص من نوع آخر

في كتاب "السيد بالومار"، كتاب ايتالو كالفينو الصادر عام ١٩٨٥وهو عبارة عن تقارير أدبية مفعمة بدقة الكلمات، و كتابات وصف ودفتر لبيوغرافيا إنسان يستنطق الأشياء القريبة، التي في متناول اليد، و هكذا فهو يتأمل الغروب و ينظر إلى النجوم الحيوانات في حديقته، ثم يقول لنا جملته الأخيرة بعد أن مسه اليأس: "نحن لا نستطيع أن نتأمل ما تعودنا على رؤيته في داخلنا".

في مجموعة أيتالو كالفينو القصصية ماركو فالدو التي كتب قصصها الأولى في بداية الخمسينيات وقد صورت ايطاليا الفقيرة، أما القصص الأخيرة من المجموعة فقد كتبت في منتصف الستينيات بعد أن انتعش الاقتصاد الإيطالي، وظهرت معالم التغيير على حياة الناس هناك نتابع في المجموعة قصص كالفينو، إنها قصص من نوع آخر،لا كما التعريف الذي أقترحه يتيس للقصة القصيرة، أنها قصص من نوع آخر تتفق مع القصة القصيرة المتعارف عليها في أمور و تختلف عنها في أمور أخرى كثيرة، ويتمثلها المتلقي كقصائد نثر متميزة، مفعمة بقيم الإنسان وحب الطبيعة و تحمل محاولات الإنسان وتوقه الدائم للرجوع إلى عوالم فطرته الأولى، وحياته القديمة الذائبة في رحاب التدفق و الألفة، فماركو فالدو بطل كل قصص المجموعة، هو وجه آخر لدون كيشوت سرفانتس، وكما معروف إن سرفانتس أراد الرجوع لمفاهيم الفروسية النبيلة في العصور الإقطاعية، لإدانة رذائل عصره،دون أن يخطر له على بال أن تلك المفاهيم القديمة قد ذهبت إلى الأبد، وهنا يتبادر إلى ذهننا ما كتبه رأي ب. وست عن بنية القصة القصيرة:"أن فناننا قد تصدى لإنتاج قصة ما، فهو لا يصمم أفكاره لتتفق وحوادث قصة ما، بل أنه يتعمد أن يأخذ بعناية تامة لاستحداث أي أثر قوي، فذ، فهو يبتكر أحداثا، أو ينسق أحداثا، بأفضل شكل يساعده على تثبيت الأثر المتخيل مسبقا " وهنا يعنينا أن نقول أن كاتبنا لا يعتني بطرائق الكتابة بقدر رغبته المسبقة في إيصال نبضات شخصية. ماركو فالدو. إلى ذهن المتلقي، كصورة معادلة لدون كيشوت الأسباني، ودون أن يعني بشروط الومضة في القصة القصيرة. إن العلاقة تبدو واضحة بين ماركو. ايتالو كالفينو ودون كيشوت سرفانتس. فقد رسمت الشخصيتان بالطريقة التهكمية، المضخمة. اللامنطقية. نفسها. وقد وضع سرفانتس نموذجه لإدانة المجتمع الإقطاعي، وعمد الكاتب الإيطالي لإدانة المجتمع الصناعي في القرن العشرين، ومثلما فعل دون كيشوت حين حارب طواحين الهواء، فان ماركو فالدو حاول بإمكانيته البدائية رفض المجتمع الصناعي بإمكانياته البدائية أيضا لقد رفض المجتمع الصناعي بإمكاناته الهائلة، وهيمنته الطاغية، وكانت المبارزة بين الجانبين فرصة سانحة للمزيد من سخرية المتلقي وتهكمه، فماركو يقدس الطبيعة و حاول بما وصلت إليه يداه حمايتها من زحف المنطق الصناعي الجديد ومردودا ته المادية، وإدانة قيمه التي لا تعطي لروح الإنسان و حلمه آية أهمية، لقد حدثت مبارزة حقيقية بين كالفينو المبدع الايطالي للعصر الصناعي وسرفانتس مبدع فترة العصر الاقطاعي.

عالم كالفينو الجميل

في "الفطر في المدينة " نجد ماركو يتحين الفرصة لالتقاط الفطر النامي هنا و هناك: "ذات يوم، وعلى جانب الشريط الضيق من الأرض المحيطة بجادة المدينة، هبت عاصفة من البذور لا يعلمها غير الله من أين أتت منبتة الفطر، ولم يلاحظها أحد سوى ماركو فالدو العامل الذي يستقل عربة الترام من ذلك المكان كل صباح. ص ١٣ ماركو فالدو. رسم كالفينو بالكلمات لوحة ساخرة لنزوع ماركو لاغتنام فرصة ما توفره الطبيعة، من خيرات في المجتمع الصناعي الجديد: " لقد وجدوا جميعا الكثير من الفطر ولأنهم لا يملكون سلالا فتحوا مظلاتهم وجمعوا الفطر فيها.. وفكروا أن يقيموا وليمة كبرى لهم جميعا". على أي حال، لم يمر وقت طويل حتى عادوا ليروا بعضهم بعضا، ففي ذلك المساء تجمعوا في عنبر واحد من المستشفى بعد أن أجريت لهم جميعا عمليات غسل المعدة ص١٦ ماركو فالدو. أن المفارقة المرة، ولعنة المجتمع الصناعي الجديد تقع حين يكون الفطر الذي أنبتته الطبيعة الملوثة بنتاج الصناعة مسمما، وهنا تقترب شخصية، ماركو فالدو من دون كيشوت وتتطابق الشخصيتان، ولكن باختلافات بسيطة يفرضها كل ظرف وناموس على نتاجه الثقافي وطبيعته التاريخية.

غصن مقطوع

وفي "إجازة على مقعد حديقة" يحاول ماركو فالدو أن يقضي ليلة على مصطبة في حديقة قريبة من بيته، ليخنق داخل نفسه الشعور انه ينام في الغرفة الضيقة، المزدحمة بأفراد عائلته، بين أطفاله و زوجته، ولكي يرى القمر دون أن تحجبه الجدران والبنايات العالية، لكنه يفاجأ بمنغصات الحديقة، الكثيرة، أضواء إشارات المرور في الشارع المضيئة و المنطفئة كل لحظة، وعاشقان يحتلان المصطبة التي كان قضاء ليلته عليها، وحين يغادرانها يؤرقه تمثال جنرال يمد سيفه الحجري في الهواء، ويأخذ ماركو في التقلب على المصطبة، والنعاس لا يأتيه، وعند ذلك يقطع غصنا مورقا من الشجرة القريبة ليغطي به السيف ليقطع سيل الضوء، فيقع سوء الفهم. إن حلم ماركو بقضاء ليلته وسط الطبيعة الخلابة ونور القمر ينير قمم الأشجار يتبدد ويتلاشى و يتحول ذلك الحلم الشفاف إلى كابوس يجثم على صدره و يطرد النوم عن عينه، مما يضطره في النهاية إلى التجوال في المدينة النائمة وقد عافت نفسه النوم، وهنا تنطبق عليه مقولة غوغول، القاص الروسي، التي وردت في قصة الأنف:"إن سخافات عديدة تحدث في الكون، و ا حيانا أشياء لا تطابق الواقع بحال من الأحوال و لكنها واقعية مائة بالمائة". والواقع هنا، هي تلك الفطرة التي انتمت إليها الطبيعة دائما، وكل التطورات الحاصلة في بنيتها ما هو ألا تزييف و خيانة فجة لمخلوقاتها ومنها الإنسان بدعوى التطور، وفي هذه القصة يتحول سيف دون كيشوت إلى غصن مقطوع في يد ماركو يغطي به سيوف المدينة الحجرية و يحجب انتصاراتها الوهمية.

البطل المهزوم

في نص "الحمام البلدي" يحاول ماركو أن يصيد الحمام الذي يمر بالمدينة مهاجرا، ويساعده أولاده على ذلك، لكنه يكتشف في ما بعد أنه صاد الحمام الداجن، الذي يربيه الجيران فوق السطوح، قالت السنيورا: تعال يا ماركو فالدو. لقد أخبرت أن في سطح البيت أن شخصا يصطاد حمام المدينة. هل تعرف شيئا عن الأمر؟ "ص٢٧ ماركو فالدو" في هذا النص تختفي الطيور المهاجرة، ممتلكة حريتها في تغيير أماكن وجودها، وتتحول إلى حمام داجن تضمه الأقفاص، وكل حمامة من حمامات الأقفاص تحمل رقمها الخاص، وعنوان الدار الذي تعود إليه، فليس هناك خيار أمام ماركو غير إرجاع الحمامات التي اصطادها إلى صاحبتها هو إذن عصر الاختناق وسوء الفهم، والضحك المتواصل على رسم أيقاع بطل مهزوم، لم يفهم شيئا من تضاريس العصر الجديد، وما زال يعيش بعقلية أهل العصور الوسطى.

كالفينو المبدع الحي

كل قصص المجموعة، كان بطلها هو ماركو فالدو، كأنما يؤشر ايتالو كالفينو حقيقة غريبة مؤداها، أن العالم الصناعي الجديد قد قضي تماما على ما تبقى من أمثال ماركو فالدو، ولم يبق في الساحة سواه، والذي سيتلاشى بدوره عما قريب، وهي صرخة الكاتب وسخريته من عالم سيفتقد عما قريب أمثال ماركو وما يثيرونه من حقيقة وصدق وعفوية في مجتمعاتهم، وما يضفونه عليها من البراءة والحلم وشفافيتهما، في عالم سيطرت عليه الكوابيس والآلات والضجيج والظلم الاجتماعي. أنه بحق الكاتب الذي أضحك القراء وأبكاهم.

إن قصص ايتالو كالفينو وعالم رواياته المتشابك يقول لنا أشياء عما تفعله الصناعة والعصر التكنولوجي بالإنسان والمجتمعات بشعرية أخاذة يسمو فيها الحلم و الترقب و الرفض، ولن تكون مفاجأة للأوساط الثقافية في العالم أن لا يحصل ايتالو كالفينو على جائزة نوبل خلال حياته فقد أخطأته عجلة نوبل ربما عن قصد كجزء من الحرب الباردة قبل تحلل المعسكر الاشتراكي، لمن هو أقل عطاء وتأثيرا.

الروائي وليم بويد

شخوصي يعيشون تعاقب النجاح والفشل ويخسرون كل شيء

ترجمة د.سندس فوزي فرمان

في احد اكبر الفنادق الباريسية الواقعة في ساحة الفاندوم الشهيرة تسبقك سيدات شابات ليقدنك في متاهة من الأروقة والسلالم والتي لن تستطيع بالتأكيد إيجاد طريق العودة منها. حجز ناشر وليم بويد الكاتب البريطاني المولود في غانا عام ١٩٥٢ صالونا مخصصا لهذه المقابلة. تساءلت مع نفسي للحظة إن لم يكن الكاتب قد هرب كما فعلت بطلة روايته الجديدة. إلا إن قلقي سرعان ما تبدد حينما التحق بنا مؤلف كتاب " إنكليزي على خط الاستواء" و"كتاب مفتوح" (١). دفء حركاته وأولى كلمات فرنسيته المتقنة نقلتنا إلى عالم آخر.

-اتخذ كتابك الأخير "حياة تحت المراقبة" شكل روايات الجاسوسية فهل هناك سبب محدد لذلك؟

❖هناك سببان. الأول هو أن نفسية الجاسوس ونفسية الخائن خصوصا تشدني جدا. في بريطانيا كان عندنا العديد من الخونة المشهورين مثل خمسة كامبردج في أعوام الثلاثينات. كان واحدا منهم وهو المدعو كيم فيليبي عميلا مزدوجا لصالح الإتحاد السوفيتي. وعاش حياة مزدوجة لمدة عشرين عاما. كنت أرغب في أن أعلم كيف كان ذلك ممكنا.... إلا إن ما يهمني في العمق هو موضوع الهوية تحديدا وهذه القضية تكون أكثر صلة بالموضوع حينما يتعلق الأمر بالجاسوس. منذ عدة سنوات وأنا أتساءل في رواياتي عن عدد الهويات التي نمتلكها في حياتنا. هذا الموضوع حاضر في رواية " أرماديلو" وفي "العصرية الزرقاء". أما في "كتاب مفتوح" فيتساءل لوغان مونستوارت: " كم أنا لدينا؟". ورواياتي القادمة ستتناول نفس الموضوع. ستكون القصة عن شاب من هذا الزمن يعيش في لندن ويفقد كل شيء مرة واحدة حيث يفقد هويته الاجتماعية وهاتفه النقال وبطاقة البنك وجواز سفره ومنزله وأصدقاءه. ماذا يصبح الإنسان عندها في مدينة مثل لندن؟ نوع من البهائم أو حيوان حضري؟ إلا إنها قد تكون الرواية الأخيرة حول هذا الموضوع.

-إلا إن الجاسوس إذا عرفت هويته الحقيقية يصبح جاسوسا ميتا....

❖الجاسوسان الاثنان في الرواية إيفا ولوكاس يخشيان من نفس الأمر. وتحدث بروست عن هذا الأمر في إحدى رواياته؛ فهما يخشيان من اللحظة التي يمكن فيها أن يضع أحدهم كفه على كتفك ويقول: " آه، هذا أنت!!!". هل يمكن أن يتقاعد المرء حينما يكون جاسوسا؟ حينما يكون هاربا كإيفا؟ كيف يمكن للمرء أن يحيا؟ كل هذه الأمور تشغل بالي وتحيرني....قبل عامين، في أيرلندا الشمالية، انكشفت هوية جاسوس بريطاني بعد خمسة عشر عاما من تغلغله في صفوف الجيش الجمهوري الأيرلندي. وعلى غرار إيفا فقد بقي مختبئاً في بيت ريفي في مكان منعزل. لك أن تتخيل حياته؛ الخوف من أي غريب يصل إلى القرية ومن كل عربة تمر أمام منزله. وفي النهاية وجده الجيش الجمهوري الأيرلندي وقتله. في تلك اللحظة كنت قد بدأت في كتابة روايتي ولم يلهمني ذلك بشكل مباشر إلا أنني أجد ذلك مثالا جيدا....

-كيف جاءتك فكرة هذه الرواية؟

❖في أثناء كتابة روايتي "كتاب مفتوح" قمت بأبحاث عن يان فليمنغ وعن الجاسوسية خلال الحرب العالمية الثانية. في رواية "كتاب مفتوح" كتبت حياة إنسانية كاملة ب ٥٠٠ صفحة جاءت على شكل دفتر يوميات. كنت أرغب في أن أقوم بكتابة شيء أقل حجما لكن بسرد أكثر تعقيدا. كما إنني مشدود إلى روايات الجاسوسية كنوع أدبي. تخيلت أما لفتاة شابة وهي تحدثها ذات يوم قائلة: " لست سالي جيلمارتان إنما أدعى إيفا ديليكتورسكايا. كل واحدة من رواياتي تبدأ بسؤال. كما إن البي بي سي طلبت مني تحضير سيناريو عن صداقة تشرشل وروزفلت خلال الحرب وهكذا اكتشفت تلك العملية السرية البريطانية في الولايات المتحدة...

-الحقيقة والكذب هي في قلب العلاقات القائمة بين شخوص الرواية. وأي كاتب يحاول دوما أن يعطي الصدقية للرواية التي يكتبها إلا إن الكذب هنا "مهنة"...

❖هذا صحيح فشخوصي لا يهربون من طبيعتهم. فإن كانت روث تصدق بقصة أمها إيفا إلا إنها تفهم أخيرا بأن هناك من يتلاعب بأمها أيضا. ما كان يهمني في قصة الحب التي ربطت إيفا و لوكاس وهما جاسوسان محنكان هو تلك العلاقة بين ما هو شخصي وحميم وبين العمل. فلم تمنع علاقة الحب التي ربطتهما إيفا من أن تفتش وبشكل تلقائي حقائب لوكاس فهي ليست غبية وهي تعلم بأنه أخل بكل القواعد عندما أرتبط بها. إذا فلقد تساءلت لماذا. أما بالنسبة للوكاس فقد كان الأمر وسيلة إضافية للوصول إلى غاياته. ما هي هذه الغايات؟ أحببت كثيرا اللحظة التي فهمت فيها إيفا بأن لوكاس كان قد حضر كل شيء مسبقا. وبالرغم من كل ذلك كانت تحبه. بل إن الخيانة كانت أمر حينما اكتشفت إن لوكاس بلا ذمة ولا ضمير. فجأة وكي تخرج من هذا كله قررت أن تصبح مثله.

-لا يمكن أن نمنع أنفسنا من مقارنة عملية التضليل هذه والتي حدثت خلال الحرب العالمية الثانية مع ظروف دخول بريطانيا إلى العراق...

❖بدأت كتابة روايتي قبل الحرب في العراق لكن خلال رحلتي من أجل ترويج بيع الكتاب في الولايات المتحدة كان القراء يسألوني دوما عن هذا الموضوع. في ٢٠٠٣ تم التلاعب بنا وكنا سذج. في العلاقات الخارجية يجب أن نتذكر دوما إن الدول لها مصالحها. وبمجرد أن يتعلق الأمر بالولايات المتحدة تميل بريطانيا إلى أن تنسى هذه الحقيقة. بالنسبة لنا فإن الأمريكيين أولاد عمومتنا لكن العكس غير صحيح. يكفي أن تتذكر موضوع قناة السويس واحتلال غرينادا. حينما احتاج الأمريكيون حليفا في العراق كفاهم أن يقولوا: "سيد بلير تعال معنا فنحن لدينا علاقات متميزة". قلت في نفسي عندها بأن روايتي قد تكون وسيلة تجعل القراء يفكرون بتلك العلاقات التي يزعم بأنها مميزة. -هل كان يجب على بريطانيا أن تفتش حقائب الولايات المتحدة كما فعلت إيفا مع لوكاس...

❖كان يجب على بريطانيا أن تتساءل أين تكمن مصالحها. نزل مليونا شخص إلى الشارع إلا إن بلير تجاهل ذلك.

-طرحت موضوع الخيانة عدة مرات سواء من الناحية الخاصة أو من الناحية السياسية والعملية.

❖نعم وقد أوردت لذلك ثلاثة أسباب ألا وهي المال والابتزاز والانتقام. والانتقام حالة أكثر عمومية. وفي كل انتقام هناك حصة للكراهية. أعتقد إن الأصل في خيانة لوكاس هو كراهيته لطبقته الاجتماعية. وأنت تعلم بأنه ليس من الصعب أن تكره الطبقة البرجوازية العليا البريطانية فهم لا يتمتعون بأي لطافة و لا يتغيرون أبدا. وإلى يومنا هذا إذا دخلت أي ناد "للجنتلمانات" لا يمكن إلا أن تصدم. وإيفا، شخصية الرواية الرئيسة تقول أحيانا يمكنك أن تكره بلدك كما تحبه. الشيء الوحيد الذي نتساءل عنه هو كيف نجاهد هذا الشعور. ويجوز... إن مع الزمن هناك جاذبية أن يعيش الإنسان حياة مزدوجة. لا أدري حقيقة فهذه عقليات من الصعب اختراقها إلا إنها تبقى مشوقة جدا بالنسبة للكاتب. ولهذا السبب بالتحديد استهوت روايات الجاسوسية كلاً من جوزيف كونراد وغراهام غرين.

-يبدو إنك تتسلى بأن تكتب سرد الرواية من وجهة نظر امرأة مشؤومة.❖أجل. بما إنني لست كاتبا حقيقيا لروايات الجاسوسية فكان يجب على أن أجد شيئا مبتكرا. عالم الجواسيس عالم ذكوري ومغلق تماما على الرجال لذلك قلت سأكتب عنه من وجهة نظر امرأة. كما إنني أحب ذلك فالكتابة تحررني. أغير هويتي من خلالها. وقد استهواني وحفزني جدا أن ألبس دور المرأة التي يتم التلاعب بها طوال السنوات الثلاث التي استغرقتها كتابة الرواية. سمح لي ذلك أن أرى كل الأشياء بطريقة مختلفة تماما وبأن أقلب كل القوالب الثابتة.-في النهاية أنت أيضا جاسوس نوعا ما....❖هذا ليس خطأ. شخوصي يتشابهون دوما فهم يعيشون تعاقب النجاح والفشل ويخسرون كل شيء ويغيرون هوياتهم كما هو حال الجاسوس وكما هو حال الكاتب. حياة الجاسوس تشبه كثيرا حياة الكاتب فنحن الاثنين نراقب من دون توقف وندون الملاحظات عن كل شيء حتى أدق التفاصيل التافهة. وتدريب الكاتب يشبه تقريبا تدريب الجاسوس. إلا إن الأمر بالنسبة لنا هو وسيلة نكسب بها عيشنا أما بالنسبة للجاسوس فهي وسيلة يبقى بها على قيد الحياة.

-ختاما هل الهوية هي مجموع "الأنا" التي نستعيرها خلال حياتنا؟

❖كثير من الناس يعلمون من أين جاءوا أما أنا فلا. أنا لا أستطيع أن أقول أنني من سكوتلاندا كما هو الحال بالنسبة لوالدي. ولا أستطيع أن أقول أنني من غانا بالرغم من إنني عشت عشرة أعوام فيها وبأن ذلك جزء مني.... في الحقيقة لا أجد كثيراً من الرغبة في الرد على هذا الموضوع و إلا فإنني سأفقد إلهامي. قد يكون ذلك في نهاية الأمر هو موضوع كل رواياتي. حتى في لندن أشعر إنني على جنب. وقد يكون هذا أفضل بالنسبة للكاتب فنحن نراقب العالم بموضوعية أكثر. وهذا هو بلا شك ما يعطي إيقاع رواياتي وهو وراء عدم استقرار شخوصي. أنا منجذب جدا لروائيين مثل فاليري لاربود و لورنس دوريل و سيريل كونيلي. هذه العقول تستهويني فهي عقول تهوى الحركة.

عن "لوموند ديه ليفر" الملحق الثقافي لجريدة "اللوموند".